

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية في زمن العولمة

د. بوضرة العلمي

جامعة باجي مختار عنابة الجزائر

1- مقدمة وطرح الإشكالية

تعتبر الترجمة من العناصر القاعدية التي تساهم في عملية التواصل بين مختلف الثقافات والحضارات والشعوب. كما تعد أيضا من أنجع الوسائل المناسبة لنقل المعارف والعلوم والآداب من حقل حضاري إلى فضاء حضاري آخر. ونظرا لهذه الميزة التي تتصف بها الترجمة والمتمثلة في التفاعل والتواصل الحضاري أو الثقافي فقد أولى العرب والمسلمين ومند القدم اهتماما كبيرا لها وقد بلغ هذا الاهتمام ذروته في العصر العباسي عندما أقبل الخليفة المأمون بإنشاء بيت الحكمة من جهة وبتشجيع المترجمين على أداء هذا النشاط الثقافي أو الحضاري وذلك باستعمال جملة من التحفيزات المعنوية والمادية من جهة ثانية. فيكفي أن نذكر على هذا المستوى أنه كان بمنح للمترجم وزن الكتاب المترجم ذهابا. وقد أدى هذا الاهتمام الصريح بنشاط الترجمة في ذلك العصر إلى نقل إلى الحضارة العربية الإسلامية أنبل ما أنتجته الحضارة اليونانية والفارسية والسريانية في الميدان العلمي والثقافي والفني.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية ... د. بوضرة العلمي
كما أن الشعوب الغربية أو المسيحية عامة قد اعتنت كذلك بالترجمة في
مرحلة معينة من تاريخها. إذ نجدها قد نقلت إلى تراثها الفكري والثقافي أروع
وأسمى ما أنتجه الفكر العربي المسلم وأيضا ما تم نقله من طرف المترجمين
المسلمين والعرب عن الحضارات السابقة من إبداعات في مجال الطب
والفلسفة والرياضيات وشتى العلوم الأخرى مما ساعد آنذاك على إحداث
نهضة علمية وثقافية متعددة الأشكال والتي لا تزال آثارها بارزة لحد الآن.

غير أن هذا النشاط العلمي والثقافي الذي وقف وراء بعث وازدهار
وكذلك تواصل وتلاقح هاتين الحضارتين قد تراجع على وجه الخصوص في
العقود الأخيرة والتي عادة ما أصبحت تنعت بفترات أو عقود العولمة مما
انعكس سلبا على حجم ونوعية التفاعل والتواصل القائم بين هاتين الثقافتين.
ولغرض تفعيل عملية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية
المسيحية ومن ثمة تفادي ما صار يطلق عليه مؤخرا "بصدام الحضارات" فلقد
بادر أثناء هذين العقدين الأخيرين عدد كبير من المفكرين والعلماء العرب
والمسيحيين الذين يؤمنون حقا بفلسفة الحوار الثقافي أو الحضاري بتنظيم
ملتقيات أو فضاءات علمية وفكرية لمعالجة هذه المسألة الحساسة التي يتوقف
عليها التعايش والسلم العالمي.

لكن رغم هذا الاهتمام الملحوظ بهذه المسألة الجوهرية في حياة
الإنسانية فإننا نستطيع أن نقول أن التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة
الغربية لم يرتقي لحد الآن إلى المستوى المطلوب بسبب توفر عدة معوقات
أهمها:

- التراجع المذهل لنشاط الترجمة في زمن العولمة وخاصة على
مستوى العالم العربي.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية ... د. بوضرة العلمي

- التصورات السلبية للثقافة العربية الإسلامية التي تجذرت على مستوى الذهنية الاجتماعية الغربية. إن هذه الثقافة غالباً ما أصبحت ترمز عند أغلبية أفراد المجتمعات الغربية إلى العنف، والإرهاب، والتطرف، وهدر دماء الأبرياء، وإقصاء واضطهاد المرأة، وغياب حقوق الإنسان، والفقر والتخلف بشتى أنواعه، والجهل، والنفاق والمكر، وعدم القدرة على التطور والإبداع، والجهاد والتمرد على الديانة والثقافة المسيحية الخ...

- التصورات السلبية للثقافة الغربية التي ترسخت حالياً على مستوى الذهنية الاجتماعية العربية الإسلامية. إن هذا النمط الثقافي غالباً ما يوحي في الوقت الراهن بالنسبة للأغلبية العظمى لأبناء المجتمعات العربية الإسلامية إلى كل مظاهر الانحراف (الخلقي والجنسي والاجتماعي)، والهيمنة والسيطرة، والإقصاء، وغياب البعد الروحي أو الإنساني أو طغيان الجانب المادي على الجانب الروحي والسعي إلى طمس الإسلام واضطهاد المسلمين والمنافسة البشعة بين الأفراد والجماعات، وانتشار النزعة الذاتية والتفكك أو الاندثار الأسري وطمس الهوية الإسلامية الخ...

- بروز تصورات أو قراءات إيديولوجية واقتصادية وثقافية غير موضوعية لظاهرة العولمة على مستوى الساحة الفكرية الغربية وكذلك على مستوى المحيط الثقافي العربي الإسلامي والتي نرى ضرورة الوقوف عندها وتحديد فحواها وأبعادها وذلك لكونها تعد من وجهة نظرنا من أهم المعوقات التي قلصت من كثافة التواصل والحوار بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الإسلامية.

2- التصورات الغربية المسيحية لظاهرة العولمة :

من بين الحقائق التي يتعذر علينا إخفاؤها أثناء هذين العقدين الأخيرين من الزمن هو بروز وبشكل واضح على الساحة الفكرية الغربية وهذا ابتداء من

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية ...د. بوضرة العلمي
التسعينات تيار فكري إن لم نقل سياسي أو إيديولوجي يدور محتواه حول
ظاهرة العولمة والذي تمثلت غايته الأسمى في السعي إلى خلق عند أغلبية
أفراد العالم توجهات أو تصورات ومواقف مؤيدة لهذه الظاهرة بطريقة لا
مشروطة . وقد سعى إلى تحقيق هذا الهدف دون مراعاة مبدأ التنوع الثقافي أو
بالأحرى دون أي اعتبار لخصوصيات الثقافات الإقليمية أو المحلية معتمدا
على تقديم أفكارا وحججا جد مغرضة وبراقة وكانت جعلها مركزة على الجوانب
التالية:

- الجانب الاقتصادي: والذي تم فيه ربط العولمة بالتنمية الاقتصادية
الشاملة أو الكونية وذلك بسبب الدور الذي تلعبه المؤسسات النقدية والشركات
العابرة للقارات والاستثمار الأجنبي في بعث التنمية الاقتصادية المحلية أو
القومية.

- الجانب السياسي: والذي تم التركيز فيه على العلاقة العضوية الموجودة
بين العولمة وترقية حقوق الإنسان وتكريس الديمقراطية والحكم الراشد وحرية
التفكير والاعتقاد والتنقل.

- الجانب الاجتماعي: والذي تم فيه التأكيد على الدور الذي تلعبه
العولمة في ازدهار العدل والمواطنة والرفاهية والرعاية الاجتماعية بصورها
المختلفة والرخاء والتواصل والتسامح وكل المبادئ السامية الأخرى.

- الجانب العلمي والثقافي: والذي تم فيه إبراز الصلة بين العولمة
والتطور المذهل للمعرفة والتكنولوجيا في شتى مجالات الحياة ووتجانس الفكر
البشري وتأسيس الثقافة الكونية.

ومن رواد هذا الاتجاه الفكري والثقافي المروج لظاهرة العولمة والذي
أعاق كثيرا تقارب وتواصل الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الغربية نجد على
وجه الخصوص المفكر والفيلسوف الأمريكي المنحدر من أصل ياباني

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي
فرانسيس فوكوياما (FUKUYAMA Francis) صاحب الكتاب الشهير نهاية التاريخ
والإنسان الأخير (The End History And The Last Man 1992) والذي اعتبر
ازدهارها بمثابة المؤشر القاعدي أو العرض الأساسي الموحى بنهاية التاريخ أي
نهاية ظهور المبادئ والعقائد والأنظمة السياسية على مستوى هذا العالم وقد
عبر عن هذا الجانب على النحو التالي:

" إن الحياة ستستمر من ميلاد إلى موت، وستستمر تفجر الأحداث. لكن
لن يكون هناك أي تقدم أو تطور بعد اليوم فيما يتعلق بالمبادئ والعقائد
والمؤسسات خارج إطار النسق الغربي الليبرالي البحر".¹
كما اعتبر أيضا هذه الظاهرة لميلاد الإنسان الأخير والذي يزعم أنه
سيكون المواطن المثالي أو النموذجي الذي سيعيش في كنف الرخاء والمساواة
والحرية وكل الحقوق المدنية وذلك بسبب تطبيق جملة الأسس والمبادئ
الخاصة بالديمقراطية الليبرالية الغربية.

كما دعم هذا الاتجاه الفكري أيضا توماس فريدمان (FRIEDMAN,)
Thomas L. الذي أنتج كتاب تحت عنوان : "السيارة ليكساس وشجرة الزيتون :
فهم للعولمة" (The Lexus And The Olive Tree, Understanding Globalisation, 1999)
والذي أقر فيه أن العولمة هي ذات منشأ أمريكي وهي أسمى الحضارة وأرقى
التقدم لكونها قادرة على خلق التوازن بين التطور العلمي والتكنولوجي والثقافة
التكنولوجية الأصيلة. ولقد كتب في هذا السياق ما يلي: " إن المجتمع العالمي
المزدهر هو المجتمع الذي يستطيع أن يحدث التوازن بين السيارة Lexus وشجرة
الزيتون على الدوام. و لا يوجد لذلك على الأرض اليوم أفضل من أمريكا في
أفضل حالاتها-اليوم وغدا وفي كل وقت حتى يتسنى للعولمة أن تكون قابلة

¹ راغب نبيل: أقنعة العولمة السبعة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة 2000. ص. 20.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية ...د. بوضرة العلمي
للاستمرار. إنها يمكن أن تكون ويجب أن تكون منارة للعالم أجمع. فلنعمل على
ألا نبذر هذا الإرث".¹

3-التصورات العربية الإسلامية لظاهرة العولمة :

يمكن القول أن بروز وانتشار هذا الاتجاه الفكري أو العلمي الجد منحاز
لظاهرة العولمة على مستوى البيئة الثقافية الغربية والذي حاول أن يوضح
ويدعم بكل الوسائل والأساليب أن هذه الظاهرة تحمل في طياتها الحقيقة
المطلقة والجنة المنتظرة وهي حتمية تاريخية لكونها وليدة التقدم العلمي
والتطور التكنولوجي قد أثر سلبا على عملية التقارب والتفاهم بين الثقافة
العربية الإسلامية والثقافة الغربية وذلك لكونه أدى إلى ظهور على مستوى
المحيط الثقافي العربي الإسلامي تيار فكري أو خطاب علمي - وهذا باستثناء
بعض الأصوات المتعاطفة مع جملة الأطروحات التي وضعها في المقام الأول
التيار الغربي المروج للعولمة - غايته الأسمى ترويج أو ترقية ثقافة عربية إسلامية
جد مناهضة أو مقاومة للعولمة (وبصفة ضمنية للثقافة الغربية المسيحية) قوامها
الكشف عن خباياها وأسرارها وتداعياتها السلبية على الأمة العربية الإسلامية
ودلك على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي.
وقد تشكلت نواة هذا النوع الثاني من الثقافة انطلاقا من طرح عدة
تساؤلات أثارت جملة من الإشكاليات تركزت أساسا على الجوانب التالية:
- ماهية العولمة وطبيعة القوى المحركة لها.
- البعد التوحيدي والتفكيكي لها.
- طبيعة الدور الذي تلعبه الشركات الضخمة أو العابرة للقوميات.
- مصير السيادة والهوية الوطنية في ظل صياغة النظام والإنسان الكوني
الجديد.

¹ نفس المرجع ص. 35

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية ... د. بوضرة العلمي
-وأخيرا مستقبل أو بالأحرى مصير الثقافة العربية الإسلامية في ظل ما
أصبح يدعى بالثقافة العالمية أو الكونية.

ويمكن القول أن هذا التيار الفكري قد استطاع أن ينتج حقا داخل
المجتمعات العربية ثقافة مناهضة ومقاومة للعولمة (باعتبارها ظاهرة أنجبتها
التطورات المتعددة الأوجه التي حدثت داخل المجتمعات الغربية) يمكن
استخلاصها من خلال النصوص العلمية العربية (أو بالأحرى من خلال الخطاب
العلمي العربي الإسلامي) والتي وردت على شكل أفكار ووجهات نظر ومواقف
وسرد نظريات وتقديم أطروحات وحقائق وأمثلة ميدانية تفسر وتحذر وتندر
وتتنبأ بخبايا وعواقب وانعكاسات هذه الظاهرة الجديدة على مصير ومستقبل
الأمة العربية وذلك على الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي .

فمن الناحية الاقتصادية فنجد أن هذا التيار العلمي قد تم تقديم العولمة
بصفة عامة للقارئ العربي على أنها ليست ذلك العلاج المطلق لكل المشاكل
الاقتصادية التي تعاني منها مختلف الدول النامية بما فيها الدول العربية. كما
اعتبرها أيضا غير قادرة على تحقيق التنمية المحلية للبلدان النامية وقد أكد هذا
الرأي د. عاطف السيد لما قال: "إن الاستثمار الأجنبي لا يمكن اعتباره عنصرا
داعما لعمليات التنمية وزيادة حجم التاج المحلي الإجمالي في الدول النامية
ولا يساهم في رفع مستوى التعليم والارتقاء بمستوى الخدمات الصحية
وتحسين البيئة الأساسية وتحسين ظروف ومستوى المعيشة في جميع الدول"¹.
وقد اعتبر أن فوائده تعود بالدرجة الأولى على الشركات العملاقة للدول
العظمى لأنه لا يخضع لا للمساءلة أو المراقبة من طرف المجتمع الدولي ولا

¹ السيد عاطف: العولمة في ميزان الفكر، دراسة تحليلية. طباعة الانتصار. القاهرة . 2001.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية ٢٠٠٠. بوضرة العلمي
لتوجيه أو ضبط من جانب الدول النامية، ومن ثمة فقد ألحق ضررا معتبرا
بالاقتصاديات الوطنية.

أما من الناحية السياسية فإن محتوى هذا التيار قد تم تركيزه على إبراز أن
نظام العولمة لم يؤد فقط إلى إزاحة وبشكل معتبر الحدود الوطنية وإنما أيضا
إلى تجريد الدول النامية من حقها في تدبير شؤونها الداخلية والخارجية بكل
حرية. وقد صاغ هذه الرؤية الدكتور نبيل راغب قائلا:

"في عصر العولمة منحت الدول الغربية الكبرى وعلى رأسها الولايات
المتحدة الأمريكية نفسها الحق في مطالبة دول العالم الثالث بالديمقراطية
وحقوق الإنسان وحكم القانون... والوضوح في الأفكار والتحركات أو ما
تسميه بالشفافية"¹.

أما من الناحية الاجتماعية فقد تم اعتبارها وكأنها السبب الرئيسي الذي
أدى بالدول النامية إلى التخلي عن التكفل بالحماية الاجتماعية للعمال وكذلك
المواطنين ذوي الدخل الاقتصادي المحدود أو البسيط.

وقد تم فرض هذا الإجراء على الدول الصغيرة من طرف المؤسسات
المالية والمتمثلة خاصة في منتظمة التجارة العالمية وصندوق النقد والبنك
الدوليين وكتب عن هذا الجانب د. عاطف السيد قائلا: "لقد فرضت المؤسسات
المالية العالمية كصندوق النقد والبنك الدوليين على الدول النامية برامج
الإصلاح الاقتصادي ومن أهم بنوده إزالة أو تقليل الدعم الحكومي للخدمات
للخدمات التي تساعد محدد الدخل في مواجهة متطلبات المعيشة"².

¹ راغب نبيل: أفنعة العولمة السبعة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 2000.

ص. 204

² السيد عاطف: العولمة في ميزان الفكر، دراسة تحليلية. طباعة الانتصار. القاهرة.

2001. ص. 35.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي
أما من الناحية الثقافية فقد نظر إلى العولمة وكأنها لا تسعى في جوهرها
إلا إلى فرض الثقافة الغربية الأمريكية على مختلف شعوب المعمورة. ومن ثمة
طمس خصوصياتها الحضارية والثقافية. وقد أكد على هذا الجانب الدكتور
نعمات فؤاد قائلا:

"إن الغرب يريد أن يفرض ثقافته وسلوكياته وقيمه وأنماط استهلاكه على
الآخرين... إنه لا يريد تعميم النموذج الغربي فحسب بل أن هدفه الأساسي من
العولمة هو تشكيك أمم الحضارات العريقة في حضاراتها ونفسها وعقائدها
وتغريب إنسانها في أفكاره ومناهج تعليمه"¹.

وقد تم الإضفاء على هذه الثقافة المرتبطة بالعولمة والتي تحاول الدول
الكبرى تعميمها على العالم بواسطة تكنولوجيااتها الحديثة في مجال الإعلام
 والاتصال بعدة خصائص أو صفات سلبية أهمها "تسطيح الأفكار والمشاعر
وتوحيد أو تنميط عناصر الجمال وتحويل الترفيه إلى تغيب للوعي الإنساني
والجمالي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والفكري والثقافي في آن واحد"².
4- دور الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة

الغربية

إن ظهور هاتين القراءتين لظاهرة العولمة لم يساعد على الإطلاق هذين
الشكلين من الثقافتين من الانتقال من مرحلة سوء التفاهم أو الصراع إلى مرحلة
التقاسم والتواصل والحوار وستستمر هذه الوضعية على هذا المنوال بل
بإمكانها أن تتدهور إلى مستوى ما أصبح ينعت اليوم "بصدام الحضارات أو
الثقافات" ما لم تسخر المجتمعات العربية الإسلامية كل ما لديها من إمكانيات

¹ نفس المرجع ص. 63.

² راغب نبيل: أقنعة العولمة السبعة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. 2000.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية د. بوضرة العلمي
مادية وموارد بشرية للنهوض بالترجمة وفي شتى المجالات من وإلى اللغة
العربية وذلك لكوننا نعتبر

أن الترجمة تعني في جوهرها:

- التحكم في اللغات الأجنبية ومن ثمة القدرة على التفتح وعلى التعرف
وعلى التواصل مع ثقافات مختلفة عن الثقافة القومية أو الأصلية.
- القدرة على الإصغاء المستمر للبيئات الثقافية الأجنبية ومن ثمة
الاستفادة الدائمة من مختلف إنتاجاتها الأدبية والعلمية والتقنية والفنية.
- التعرف على الأطر المرجعية المميزة لثقافات غير معهودة.
- القدرة على إعادة صياغة المحتويات الثقافية الأجنبية دون تحريف
معانيها ودلالاتها الجوهرية.
- الاعتراف الصريح بوجود ثقافات أخرى ذات محتوى مختلف أو
مغاير تماما للثقافة الأصلية.
- القدرة على فهم وتفهم الذهنية الجماعية الأخرى وما تحمله من قيم
واتجاهات وتصورات وطرق العيش أو أساليب الحياة وسلوكات وتصرفات
دون ضرورة التشبع بها أو العمل على تطبيقها في شتى مجالات الحياة .
- نقل التجارب والإنتاجات الفكرية الأجنبية إلى اللغة الأصلية مع
الحفاظ على معانيها الأساسية.
- تفادي أو تجنب التحلي بما يمكن أن نسميه "بالنرجسية الثقافية
المرضية" والتي عادة ما تؤدي إلى الانغلاق حول الذات والتسامي وعدم
التسامح واضطهاد الطرف الآخر.
- ونظرا لاحتوائها لهذه الخصائص الرئيسية فإننا نعتبرها من بين
الوسائل القادرة على بعث أو ترقية تواصل حقيقي وثري ومتبادل بين الثقافة
العربية الإسلامية والثقافة الغربية لأن التواصل كما نعلم يشير عامة إلى تلك

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... بوضرة العلمي العلاقة التي تحدث على الأقل بين طرفين وعادة ما تكون قائمة على الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر لغرض تحقيق التوافق والانسجام والتفاهم. ونجاحه يقتضي توفر عدة شروط قاعدية والتي تبدو لنا متطابقة أو غير بعيدة عن الصفات التي تتميز بها الترجمة والتي يمكن إن نلخصها في النقاط التالية:

- وجود لغة مشتركة بين طرفي العلاقة.
- الاعتراف أو الاحترام المتبادل بين المخاطب والمخاطب.
- القدرة على الإصغاء للطرف الآخر.
- المعرفة والتفهم للإطار المرجعي الخاص بالطرف الآخر.
- القدرة على إعادة صياغة محتوى خطاب الآخر دون المساس بمعانيه ومدلولاته الأساسية.

- عدم التمرکز حول الذات أي التفتح على تصورات وتجارب وأفكار ووجهات نظر الطرف المتخاطب دون التأثير بها والتطلع إلى تجسيدها في كل ميادين الحياة.

ولكي تستطيع الترجمة أن تحقق هذه الغاية النبيلة يتعين علينا تحديد- وهذا طبعا انطلاقا من قراءتنا الخاصة - مجالاتها أو مواضيعها وأشكالها وكيفية تنظيمها.

5- مواضيع أو مجالات الترجمة:

قبل أن نشرع في تحديد المواضيع أو المجالات التي يتعين على الترجمة تغطيتها في الوقت الراهن وذلك لكي تساهم فعليا في تنشيط وتعزيز التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية يصعب علينا أن لا نشير في البداية إلى التراجع المذهل الذي عرفته مؤخرا وتعرفه حاليا حركة الترجمة داخل الوطن العربي. وقد حدث هذا التراجع في ظل وجود على الأقل عاملين

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي
رئيسيين كان من المفروض أن يلعبا دورا حاسما في بعث وتفعيل هذا النشاط
الثقافي أو الحضاري على مستوى الدول العربية.

- العامل الأول ويتمثل في افتقار ماضي أو بالأحرى تراث الثقافة العربية
الإسلامية بتجارب رائدة في مجال الترجمة والتي برهنت على مدى فعالية هذه
الوسيلة في عملية إثراء وتطور هذه الثقافة الأصيلة وكذلك على مدى نجاعة
هذه الأداة في عملية تبادلها وتفاعلها وحوارها مع الثقافات الأخرى.

- العامل الثاني ويتعلق بالفجوة المعرفية والعلمية والتقنية التي أصبحت
موجودة حاليا بين العالم الغربي والعالم العربي التطور المنقطع النظير الذي
حدث على مستوى وسائل الإعلام والاتصال.

إن وجود هذا التناقض الصريح على مستوى الساحة الثقافية العربية لم
يستقطب فقط اهتمام المفكرين والباحثين العرب وإنما دفع بالبعض منهم إلى
محاولة رفع الالتباس أو تسليط الضوء عن الأسباب الرئيسية التي وقفت وراء
بروز هذه الوضعية والتي نستطيع أن نحصرها في النقاط التالية:

- غياب أجهزة أو مؤسسات قوية على مستوى مختلف الدول العربية
متخصصة في الترجمة والتعريب ومن ثمة قدرة على تسيير وإدارة هذا النشاط.
وتتمثل هذه العملية الأخيرة في عملية تنظيم وتأسيس أو وضع التشريعات
الخاصة بطرق الحصول على الكتب الجديدة ثم ترجمتها إلى اللغة العربية
وكيفية نشرها. وقد أدى هذا الواقع إلى جعل الترجمة يغلب عليها طابع
العشوائية لكونها أصبحت تسيير وفق جهود بعض المؤسسات الصغيرة
وتوجهات دور النشر وكذلك رغبات الأفراد المترجمين.

- ضعف الشعور القومي مقارنة بما كان عليه في الخمسينات مما أدى
من بعد إلى التراجع الملحوظ لسياسات التعريب التي تبنتها أغلبية الدول
العربية وذلك قبل السبعينات والتي تجلت على سبيل المثال لا الحصر بعدم

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي
إصدارها لقرارات ملزمة باستخدام اللغة العربية في تدريس مختلف العلوم
والتكنولوجيا على مستوى مدارسها وجامعاتها .

- قلة المؤسسات المتخصصة فعليا في إعداد الموارد البشرية المؤهلة
في مجال الترجمة مما أدى إلى عدم بروز عدد كبير من المترجمين المهنيين
داخل المجتمعات العربية.

- انتشار ظاهرة العولمة وما صاحبها من إنتاج ونشر علمي وتكنولوجي
بواسطة اللغات الأجنبية والذي أدى خاصة إلى إعادة الاعتبار إلى اللغة
الإنجليزية والفرنسية.

- بروز ثم انتشار على مستوى البيئة الثقافية العربية تيار فكري أو تراثي
جد متصلب ومن ثمة جد مناهض لحركة الترجمة لكونه اعتبرها ولا يزال
يعتبرها وسيلة من وسائل تغريب وطمس الهوية العربية الإسلامية للأمة العربية.

- عدم وجود دعم مادي معتبر لنشاط الترجمة داخل الوطن العربي.
- غياب مشروع ثقافي نهضوي حقيقي على مستوى الدول العربية.
- فشل أغلبية الأنظمة التربوية العربية في إعداد موارد بشرية تحسن
استعمال اللغات الأجنبية بنفس الدرجة أو القدرة التي تستخدم بها اللغة العربية
أو العكس.

إن هذه الفئة من الأسباب قد انعكست سلبيا على نشاط الترجمة ببعده
الكمي والنوعي وقد أبرز هذا الواقع وبكل وضوح الأستاذ شوقي جلال محمد
على مستوى التقرير الخاص بالمسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن
العربي لما كتب على وجهه الخصوص: "إن الترجمة قد أصبحت من الترف
الذهني في الغالب الأعم للاستهلاك، أو أنها مجرد جهد من أجل نقل
المعلومات، وتخضع لمبدأ الربح التجاري. إنها تفتقر إلى البرامج على
المستويين القطري والقومي، ومن ثمة لا علاقة لها بمحاولة منهجية لدراسة

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي الواقع بلغة التطور والتطوير الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. إنها لا تخضع للتخطيط بل هي نشاط عفوي ارتجالي وتجاري، بمعنى أنها لا تعبر عن نشاط اجتماعي في صالح حراك مجتمعي هادف يسهم في الانتقال بالمجتمع من حال إلى آخر، أي من طور التخلف إلى طور النهوض بحسب رؤية مستقبلية مدروسة مسبقا وتصوغ الوعي الاجتماعي¹.

كما أفصح أيضا عن هذا الواقع المزري التي آلت إليه الترجمة في البلاد العربية لما كتب ما يلي: "أصبحت الترجمة ترف فردي في أغلب الأحيان، وجهد متباين التوجهات، مما يعكس غياب رؤية عربية عامة تعي مقومات العصر ومقتضياته وتحدياته. (...). والكتاب المترجم لا يصل إلى أكثر من خمسة بالمئة من إجمالي المنشور على المستوى العربي في ضوء الإحصاء لعدد من دور النشر، وقد يصل إلى صفر بالمئة بالنسبة للكتب العلمية المتعلقة بعلم العصر الأساسية. والكتاب المترجم على المستوى الحضاري متعدد أو متناثر الاتجاهات والمستويات لا يكشف عن توجه مجتمعي غالب في اتجاه العصر... وإنما كتاب يربطنا، بل يحصرنا في ماض سلفي على أساس إيديولوجي وقطعية حضارية مع العصر... أو كتاب يربطنا بالعصر على أساس أن العصر عصر أعاجيب ومعجزات... أو كتاب معرفة استهلاكية... والقليل النادر الذي يصوغ ذهنية علمية إبداعية للإنسان ويحدثنا عن العصر، منهجا وفكرا ونظريات، ويضعنا في إطار معرفي/ قيمي لحضارة العصر على نحو يحفزنا إلى البحث. ثم إن هذا الكتاب نراه متعثرا في طريقه إلى القارئ العربي كأنه غريب في بلد غريب... وحظه من توصيل المعرفة لا يتجاوز حدود الدهشة، إذ يتلقاه القارئ

¹ اشوقي جلال محمد: تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. 2000. ص. 81.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي
على نحو ما يتلقى إعجازات الغيب التي لا تأخذ سمة التحدي الدافع إلى
التطبيق"¹.

ويحدث هذا التدني أو التراجع الكمي والنوعي في نشاط الترجمة في ظل
ندرة بارزة للإنتاج المعرفي أو العلمي العربي وفي شتى المجالات مما أدى
إلى تعميق الفجوة المعرفية والعلمية والتكنولوجية بين الوطن العربي والعالم
الغربي ومن ثمة يصبح التواصل - وهذا طبعا حسب المعنى والشروط الخاصة
به والتي عكفنا على تحديدهما سابقا - مجرد تمرين لغوي يستخدم فقط أثناء
المناسبات أو النشاطات العلمية والعلاقات الدبلوماسية الرسمية بين العرب
والغرب وذلك لغرض تلطيف عملية عدم تكافؤ وتساوي أو توازن طرفي هذه
العلاقة. ونؤكد على هذا الجانب لكوننا نستبعد حدوث أي تواصل حقيقي قائم
على الاعتراف والاحترام المتبادل إذا كان طرف من العلاقة ونعني به هنا الثقافة
الغربية قوي ومنتج وخلاق ومبدع ومساهم في تطور الإنسانية وفي جميع
مجالات الحياة بينما نجد الطرف الثاني ونقصد به الثقافة العربية الإسلامية
ضعيف ومنغلق على الذات وعاجز حتى على التفتح والاطلاع والنقل أو
الترجمة ثم الإدماج والاستيعاب للإبداعات العلمية والتقنية المتعددة الأشكال
التي تميز هذا العصر. ولكي نمكن الثقافة العربية الإسلامية أن تصبح طرف
جدي في هذا التواصل يتعين علينا إجراء ثورة حقيقية في مجال النقل والترجمة
والتي تشمل كل مجالات المعرفة بدون استثناء حتى وإن كان هذا التصور يضعنا
في اختلاف مع هذين التيارين الفكريين:
أولا مع التيار الفكري السلفي أو التراثي والذي يزعم أن الترجمة خطر
على مستقبل ومصير الشخصية العربية الإسلامية.

¹ نفس المرجع ص. 78.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي
ثانيا مع التيار النهضوي الداعي إلى ضرورة انتهاج الترجمة كاستراتيجية
تنموية لكن بشرط أن لا تبتعد أو أن لا تتجاوز المجال العلمي والتقني وذلك
لما يحمله هذا الجانب من قدرة على تغيير واقع حياتنا بطريقة ملموسة.

وإن دعوتنا لإحداث هذه الثورة الشاملة في مجال الترجمة نابعة من
اعتقادنا العميق بأن الترجمة أضحت من جهة أمرا ضروريا وشرطا أساسيا
للهوض والتطور الاجتماعي للوطن العربي أو كما قال الأستاذ شوقي جلال:
"نحن في بلدان الوطن العربي لن نستطيع أن نعيد تأسيس أنفسنا انطلاقا من
معطيات ذاتية، واعتمادا على تراث علمي ثقافي موروث مضى زمانه وبعيد عن
التواصل الحر مع الثقافات العالمية وآلية الإنجاز العلمي الحضاري العصري"¹
ومن جهة ثانية استحال القيام بنهضة حقيقية وواعدة داخل المجتمعات العربية
وذلك بالاعتماد على بعث المعرفة العلمية والتقنية وإهمال المعرفة الإنسانية
والاجتماعية والأدبية والفنية خاصة ونحن نعلم أن "الإنسان العربي بوصفه
وبحالة بنيتة الذهنية (الحالية) وآلية ردود أفعاله غير مؤهل للتعامل مع التحديات
الحضارية"².

ولكن لكي لا تأخذ هذه الثورة الشاملة في ميدان الترجمة بعدا استهلاكيا
محضا للإنتاج العلمي والفكري الغربي والتي بإمكانها أن تصبح مضرّة بمستقبل
الأمة العربية ينبغي أن تدرج في إطار مشروع تنموي متعدد الأبعاد وواضح
المعالم يجعل الترجمة "نشاط اجتماعي وأداة المجتمع للتفاعل مع الجديد في
العلوم والفنون والإنسانيات، وتمثل عاملا أساسيا ضمن مجموعة عوامل

¹ نفس المرجع ص. 72.

² نفس المرجع ص. 71.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي متكاملة للتقدم الحضاري (...) وتصبح بصورتها هذه تعبيراً مكثفاً عن المجتمع في تحولاته الإنسانية الشاملة على المستويات كافة¹.

ومن ثمة تساعد على "إعادة تكوين البنية الذهنية للإنسان العربي تكويناً حضارياً من حيث المحتوى وآلية الاستجابة"². وبهذه الكيفية يصبح المواطن العربي قادراً ليس فقط على استيعاب وإدماج ما ينتج من الناحية العلمية والفكرية على مستوى الغرب وإنما أيضاً طرف فاعل في تطور العلم والتكنولوجيا والفنون والإنسانيات. ومن هنا يصبح يمتلك ما يقدمه للطرف الآخر بشرط أن يبدل على هذا المستوى كذلك مجهوداً معتبراً لترجمة هذا الإنتاج من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية. ويمكن القول أن هذا النوع الأخير من الترجمة (أي من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية) قد تم إهماله على مستوى الوطن العربي مما جعل معرفة الغرب لتراثنا أو لرصيدنا الثقافي تكاد لا تتعدى المؤلفات التي أنجزها بعض الأدباء العرب أمثال الكاتب المصري نجيب محفوظ، والشاعر الفلسطيني محمود درويش، والشاعر السوري أدونيس والكاتب المغربي الطاهر بن جلون والكاتب اللبناني أمين معلوف والكاتبة الجزائرية آسيا جبار مما صعب أكثر فأكثر علاقة الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الغربية.

6- أشكال الترجمة:

ولضمان نجاح هذه الثورة في ميدان الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وكذلك من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية يتعين على الدول العربية السعي إلى تدعيم هذين الشكليين من الترجمة:

¹ نفس المرجع ص 71.

² نفس المرجع ص 72.

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية د. د. بوضرة العلمي
أولا الشكل القديم والمتمثل في الترجمة البشرية أو الإنسانية. ولتحقيق
هذا الغرض نرى ضرورة إعادة النظر في أغلبية الأنظمة التربوية العربية وخاصة
فيما يتعلق بفلسفة، مناهج ووسائل تدريس اللغة العربية واللغات الأجنبية.

فعلى هذا المستوى ينبغي أن نكف عن طرح ومعالجة هذه القضية من
منظور سياسي أو إيديولوجي فقط - لأن هذا التسييس المبالغ لهذه الإشكالية
اللغوية قد ألحق ضررا كبيرا بالمجتمعات العربية وخاصة منطقة المغرب
العربي - وأن نتعلم أن ننظر إليها أيضا من منظور علمي وموضوعي وبراماتي
وخاصة لما نعرف أن مقتضيات العصر الحالي لم تعد تمنح لنا الاختيار بين
إعطاء الأولوية لتعلم اللغة العربية على اللغات الأجنبية وإنما ضرورة التفكير في
الطرق الكفيلة بتعليم نوعي لمختلف هذه اللغات بحيث يصبح المواطن العربي
ينتقل من استخدام اللغة العربية إلى استعمال اللغات الأجنبية بكل حرية أو
العكس مع الشعور بالاعتزاز أو الانتماء إلى الحضارة أو الثقافة العربية
الإسلامية أي دون الانسلاخ عن القيم الثقافية العربية الإسلامية العريقة أو
الأصيلة.

كما نرى أيضا ضرورة إنشاء مؤسسات تكوينية متخصصة في إعداد
مهنيين حقيقيين في مجال الترجمة وذلك لتغطية النقص الكبير والملحوظ في
الأخصائيين في هذا الميدان على مستوى الوطن العربي.

ثانيا الشكل الحديث والمتعلق بالترجمة الآلية والتي بدأت تعرف رواجاً
داخل الدول العربية والتي تلخص عامة وهذا من وجهة نظر الأستاذ محمود
صالح الصيني " في الاعتماد على الحاسوب في ترجمة النصوص من لغة إلى
أخرى دون تدخل بشري. وتتصف بالقدرة على ترجمة حجم كبير من النصوص
في وقت قصير لكون الحاسوب يستطيع أن يترجم النصوص بسرعة تتفاوت ما

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية ... د. بوضرة العلمي
بين ثلاثة آلاف كلمة إلى أضعاف ذلك في الساعة الواحدة، بينما لا يستطيع
المترجم البشري أن يترجم ربما أكثر من مائتي كلمة في الساعة الواحدة¹.
أما عيوبها فقد حصرها الأستاذ محمود إسماعيل صالح الصيني " في
الصعوبات التي يواجهها الحاسوب مع الكلمات المتعددة المعاني والتعبيرات
الاصطلاحية والاستعمالات المجازية للغة ، ثم التعامل مع الضمائر العائدة إلى
أسماء سابقة أو لاحقة وقضايا التطابق بين مكونات الجمل والتعبيرات والتفريق
بين ما يتطلب ترجمة حرفية (أو دلالية) وبين ما يتطلب تعادلا وظيفيا (ما يسمى
بالترجمة التواصلية"².

7- كيفية تنظيم الترجمة :

وحتى لا يبقى نشاط الترجمة في الوطن العربي غير منظم وغير هادف
نرى ضرورة الإسراع في تجسيد المشروع الخاص بإنشاء مؤسسة عربية تتكفل
بالترجمة وهو مشروع تم معالجته ودراسته بطريقة علمية وموضوعية في إطار
الندوة التي نظمها لهذا الغرض مركز دراسات الوحدة العربية في الفترة الممتدة
من 10 إلى 13 مايو 1998. إن ترجمة هذا المشروع على أرض الواقع سيساعد
المجتمعات العربية على:

- وضع أو تصور خطة شاملة لبعث نشاط الترجمة إلى العربية للكتب
والدوريات والمنشورات العالمية القيمة.
- تنسيق جملة النشاطات الخاصة بالترجمة والتأليف التي تحدث على
مستوى الوطن العربي.

¹محمود إسماعيل صالح: الاتجاهات المعاصرة في حركة الترجمة في العالم. مركز دراسات
الوحدة العربية. بيروت. 2000. ص. 145.

²نفس المرجع ص. 146

مساهمة الترجمة في ترقية التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية... د. بوضرة العلمي

- تلقيح أو إثراء الثقافة العربية بواسطة ترجمة أو نقل إلى اللغة العربية روائع الفكر العالمي في العلوم والآداب والفنون.

- الإقبال على ترجمة ما لم يترجم من روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون والتراث إلى اللغات الأجنبية الواسعة الاستعمال.

- وأخيرا تنشيط تعاون كل الجهات العاملة في حقل الترجمة ويتعلق الأمر خاصة بدور النشر والمؤسسات العاملة في حقل المصطلح ومؤسسات التعريب وشركات الترجمة الآلية والمترجمون العاملون في الميدان.

8- الخاتمة:

إن التواصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية تتنابه حاليا عدة معوقات أهمها بروز وانتشار داخل المجتمعات الغربية لتيار أيديولوجي أو فكري مروجاً لتأسيس ثقافة كونية عالمية تنصهر فيها تدريجياً الثقافات القومية أو المحلية وكذلك بروز بطريقة ارتدادية على مستوى الساحة العربية لاتجاه فكري جد مناهض لثقافة العولمة والذي يعمل جاهدا لخلق ذهنية اجتماعية عربية إسلامية جد مقاومة وعنيدة للثقافة الغربية.

وقد ظهر هذين الاتجاهين المتناقضين في محيط ثقافي عام يتميز بتراجع الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية والعكس من اللغات الأجنبية الأكثر رواجاً إلى اللغة العربية والتي تعتبر من إحدى الوسائل الجوهرية القادرة على تفاعل وتقارب الثقافتين. ولتجاوز هذه العقبات التي تعرقل حقا هذا التبادل أو التفاعل الثقافي يتطلب من الأمة العربية إحداث على مستواها الخاص ثورة حقيقية في مجال الترجمة والتي يجب أن تمس كل ميادين المعرفة. ونتصور من منظورنا الخاص أنها لا تتردد في إحداث هذه الثورة إذا ما استنطقت وتأمّلت ما أنجزته "بيت حكمتها" العريقة في هذا المجال من جهة واستخلصت العبر من تجارب اليابان والولايات المتحدة الأمريكية في ميدان الترجمة من جهة ثانية.